انتصارات العرب

amirart1969



معركة الأحزاب



انتصارات العرب

معركة الأحزاب

محمد علي قطب

دار المسيرة

بيروت

الطبعة الأولى
١٤٠٤ هـ / ١٩٨٤ م

بسم الله الرحمن الرحيم

قال الله تعالى:

﴿يا أَيُّها الّذين آمنوا اذْكُروا نِعْمَةَ اللهِ عَلَيْكُم إذ جاءتكُم جنودٌ فأَرْسَلْنا علَيْهم ريحاً وجنوداً لمْ تروْها وكان الله بما تَعْملونَ بصيرا • إذْ جاؤوكم مِنْ فَوْقِكُم ومِنْ أَسْفَلَ منكُم، وإذْ زاغَتِ الأَبْصار وبَلَغَتِ القلوبُ الحناجر وتظنّون بالله الظنونا، هنالك ابْتُلِيَ المؤمنون وزُلْزِلُوا زِلزالاً شديدا...﴾

إلى قوله تعالى:

﴿وَرَدَّ اللهُ الّذينَ كَفَروا بِغَيْظهم لم ينالوا

خيراً وكفى اللهُ المؤمنين القتال وكان اللهُ قَوِيّاً عزيزاً﴾

سورة الأحزاب

من الآية ٨ إلى الآية ٢٤

توطئة

غزوة الأحزاب أو غزوة الخندق...

عُرفت بهذين الإسمْين واشتهرت بهما.

أما [الأحزاب] فَلِأَنَّ قُرَيْشاً تحالفت مع عددٍ من القبائل على قتال المسلمين، وقصدوا جميعاً إلى المدينة في حُشْدٍ كبير جاوز العشرة آلافٍ من المقاتلين، وهو حَشْدٌ لَم تعرف له الجزيرة العربية مثيلاً إلاّ في النّادر.

وأما [الخندق] فلأَنّ تكتيكاً قتالياً جديداً استخدمه المسلمون للدفاع لا عهْد للعرب بمثله من قَبْل.

وقعت غزوة الأحزاب بعْد «أُحُد»...

ولقد علمنا أن النبيَّ ﷺ كان يؤثر يوم

« أُحُد » أن يتحصَّن المسلمون داخل المدينة ولا يخرجوا منها لمواجهة العدو، واتّخاذ موقف الدفاع، ثم كان ما كان من أَمْر حماس بعض المسلمين وإصرارهم على المواجهة، وخَلَلِ خطة المعركة حين خالف الرُّماة أَمْر رسُول الله ﷺ، فتغيَّر الموقف من النصر إلى الهزيمة، وتساقط العديد من الشهداء الأبرار وعلى رأسهم « حمزة بن عبد المطلب » - رضي الله عنه -

فلما كان يوم الأحزاب آثر المسلمون التحصُّن بالمدينة مستفيدين من درْس « أُحُد » . . .

لكن التحصُّن وحده لا يكفي اليوم، إذ عدد الأعداء كبير، وكبير جداً . . . ، فما العمل؟

وقال « سلمان » - رضي الله عنه - بوجهة

نظر الخندق؛ كخطٍ دفاعيٍّ، وهو أسلوب عسكري في القتال وفَنٌّ لم تألفه العرب ولم تعهده.

ولقد أَدّى غَرَضَهُ وبلغ غايته؛ وكان جديراً بِيوْم الأَحزاب أن يُعْرف على مرّ التاريخ بيوم الخندق.

الدَّوْر اليهودي

بَعْدَ أن أجلى النبيُّ ﷺ يهود « بني النّضير » عن دورهم وأراضيهم في المدينة المنوّرة بسبب ما ارتكبوا من الغدْر والخيانة، خَرَج بهم زعيمهُم « حُيَيُّ بن أَخْطب » حتى نزلوا بـ« خيبر »، التي كانت تُعَدُّ معقلاً من معاقل اليهود في شبه الجزيرة العربية، وهي بلدةٌ تقع على بُعْد مائة ميلٍ من المدينة المنوَّرة في طريق الذاهبين إلى الشام؛ ذاتُ حُصُونٍ منيعة وأراضٍ زراعيةٍ شاسعة.

فأقامهم هناك لدى أبناء عمومتهم.

وراح يفكّر فيما آل إليْه أمر قوْمه

وعشيرته، وتحت تأثير عوامل الثأر والإنتقام انطلق إلى مكة لزيارة «أبي سفيان» - «صَخْر بن حرب بن أُميّة» وارث الزعامة القرشيّة، والذي تربطه بِـ«حُيَيٍّ» روابط الودِّ والصداقة.

وفي «مكّة» أخذ «حُيَيّ» يشجّع قريشاً ويُمنّيها الأماني الكثيرةِ لِغَزْو المسلمين، ويستثير حمِيَّة أبنائها بتذكيرهم بيَوْم «بَدْر» ويوْم «أُحُدٍ»...

كما شَهِدَ لدِينهِم أَنَّه دين الحقّ وأَنَّ آلهتهم من الأصنام والأَوْثان آلهةٌ حقّاً، تُعطي وتمنع، وأَنَّ «محمداً» يكْذب ويفتري، وذلك بناءً على طلبهم.

الأحْزاب

سُرَّ القرشيُّون بتلْك الشهادة تصدُرُ عن أهل الكتاب، وعن زعيم خطير من زعماء اليهُود، فوعدوه خَيْراً واتفقوا معه على خطة التّعاوُن والتحالُف.

وراحوا بعـد ذلـك يؤلّبون القبائـل ويستثيرونها ويدعُونها لقتال المسلمين واستئصال شأْفتهم، من حلفائهم ومعاهديهم، كقبيلـة «غطفـان» و«أَسْلَمَ» و«سُلَيْم» و«أَسَدٍ» و«مِرَّة» و«أَشْجَعَ» وغيرها.

فاستجاب لَهُمُ العددُ الكبير، وبلغت عِدَّة جيش المشركين يومئذٍ عشرة آلاف مُقاتِل، ضاقَتْ بهم الأرض على رحابتها، والصَّحْراءُ على اتّساعها.

موقف النبيّ ﷺ والمسلمين

وكانت تحرُّكات «حُيَيّ بن أَخْطب» ولقاءاتُه بالقرشيّين وما اتفقوا عليْه تحت رقابة النبيِّ ﷺ، وموضع رصْد عُيونِهِ الّذين كانوا يتبعون ذلك، وينقلونَه أَوّلاً بأَوّل.

فلمَّا عَلِمَ «عليه السلام» بما أَزْمعوا عليه واتَّفقوا، وكذلك مَوْعد خروجهم من «مكّة»، جمعَ أصحابه وأطلعهم على الأمر، واستشارهم كعادته؛ وأكْثر من دراسة الموقف معهم، وذلك بسبب الحشد الضخم الذي حشدتْهُ «قريش» والذي لم تعرفْه الجزيرة العربية من قَبْل، وكأن في نيّتها هذه المرَّة أن تحسم الأمر مع المسلمين.

« سَلْمان الفارسيُّ » والخَنْدق

وأَبْـدى كُـلٌّ من الصحابـة الكرام - رضوان الله عليهم - رأيه، وأظْهَرَ من خِبْرتِهِ العسكريّة والقتاليَّة ما يراهُ مناسباً للموقف، محاذرين أَنْ يقولوا بالخروج من المدينة لملاقاةِ العدوّ، حِرْصاً منهم على عدم تكرار خطأ « أُحُد ».

وعندما جاء دَوْر « سلمان الفارسي » - رضي الله عنه - قال:

- يا رسُول الله، كُنّا في « فارس » إذا فاجأنا العدوُّ بمِثْل هذا العدد وهذه الكثرة خَنْدَقْنا حَوْلنا.

وكان قولُهُ - رضي الله عنه - غير ناتجِ

عن خبْرةٍ أَوْ تَجْربة بل عن مُشاهدةٍ ومعايشة، بعد كون خروجُهُ من أرض « فارس » بحثاً عن حقيقة في سِنٍّ وعُمْرٍ محدود لا يتجاوز الصبا...

فاستصوبَ النبيُّ ﷺ والمسلمون رأي سلمان »، وبدأوا العمل فَوْراً، بعد أَنْ شمّروا عن ساعد الْجِدّ وواصلوا اللّيْل بالنّهار، وقد ساهم النبي « عليه السلام » بِنفْسه في حَفْر الخندق. وأقاموا على العمل أَياماً لا يكلُّون ولا يملُّون.

ويُروى أَنَّ صَخْرَةً شديدةً اعترضت المسلمين في عَمَلهم أَثْناء الحفْر، فاستنجدوا برسول الله ﷺ، فتناول المعْوَل بيده الشريفة وضربها ضرباتٍ معدوداتٍ تفتّتَتْ على أَثَرها؛ وكانت تحت تأثير كُلّ ضَرْبةٍ تلمع كأنها شُهُبٌ

السَّماء ، فيكبِّرُ النبيُّ ﷺ ويُبشِّر المسلمين بفَتْح بلادِ « فارس » وبلاد « الروم »... فيزيد ذلك في عزم المؤمنين.

وكان موقع « الخندق » الذي احْتُفِرَ ، بَيْن جبليْن من جبال « المدينة » هما جبل « أُحُدٍ » وجَبَل « سلْع » ، على شكل قوْسٍ ، وامتدادُه يُقارب الثلاثة آلاف مِتْر ، عميقاً واسعاً.

ثُمَّ جمع النبيُّ ﷺ النساءَ والأطفال والشيوخ الذين لا قُدْرة لهم على القتال في حيٍّ محصَّنٍ من أحياء المدينة. وخَرَج مع أَصْحابه بَعْد أَنْ لبس درعه وتَوَشَّح سَيْفه ، ووضع على رأْسه وَوَجْهه مِغْفَرَه ؛ وبلغت عِدَّة المسلمين في ذلك اليوْم ثلاثة آلاف مقاتل.

ثم عسكروا خلف الخندق متحصِّنين به ، منتظرين ساعة المعركة.

المفاجأة...

وعندما وصل الأحزاب [قريش وحلفاؤها] إلى ناحيةِ «أُحُد» فوجئوا بالخندق، يحجز بينهم وبيْن المسلمين...

فوجئوا بشكْلٍ دفاعيٍّ لم يعهدوه من قَبْل، ولقد حَسِبَهُ بعض الأَغرار الجاهليِّين جُبْناً وخَوْفاً...

فأقاموا معسكرهم، مضطرين، في العدْوَةِ منه، وملأت خيامهم جنبات الأَرْض، ولبثوا يَتحيَّنُون الفُرَص؛ ويتدارسون الموقف الطارىء، واعتماد خُطَّةٍ جديدة...

وانطلقت كوكبة من فرسانهم تذرعُ جانب

الخندق على طولِهِ جيئةً وذهاباً لعلَّهم يجدون منه فُرْجَةً أو مضيقاً يَسْمَحُ لهم بالاجتياز، لكن محاولاتهم كانت يائسة وذهبتْ أدراج الرياح.



الغَدْر اليهودي

وكان « حُيَيُّ بن أَخْطب » قد وَعَدَ قريشاً والأحزاب أَنْ يُقْنِعَ « بني قريظة » من اليهود الذين لا يزالون يقيمون في المدينة المنورة بنقْض العهْد الذي بينهم وبيْن النبيِّ « عليه السلام » ويُوقعوا المسلمين بيْن فكَّيْ كمّاشه؛ فـإذا مـا تغلَّبوا وانتصروا ورثوا المدينـة وما فيها، كما أنهم بهذا يكونوا قد تخلّصوا من سلطان المسلمين عليها.

طال أَمَدُ الحصار، وفشلت كُلّ محاولات قريش والأحزاب في اخـتراق الخنـدق، واجتيـاز هذا الخط الدفاعيّ، وخشية أن

يتسرَّب اليـأسُ إلى نفوسِ الجنْـد طالَـبَ « أبو سُفْيان » وغيره من قادة المشركين حليفهم « حُيَيَّ بن أخطب » أن يُنْجِزَ وَعْدَه في تحريك جَبْهة « بني قريظة ».

فبادر « حُيَيٌّ » ذات ليْلةٍ إلى دار « كعْب ابن أسد » سيِّـد « بـني قُرَيْظـة » وقرَع الباب...، فلما عرَف « كعْبٌ » أَنَّ الطّارق هُوَ « حُيَيُّ بن أَخْطب » أبى أَنْ يَفْتَحَ له.

ولم يكُن ذلك مِنْه خُلُقاً كريماً أَوْ وفاءً...، بل خَوْفاً وجزَعاً وَجُبْناً، وابتعاداً عن دسيسةٍ من دسائِس « حُيَيٍّ »...

فلم ينصرِف « حُيَيٌّ » عن الباب، واستمرَّ يراجعُ « كعْباً » ويُقْنِعُه حتى فَتَح له الباب وأدخله على مضضٍ.

وجلسِ « حُيَيٌّ » إلى « كعْبِ » يحاورُه

ويداورُهُ، ويُغْريه ويمنّيه، حتى أَقْنعه بنقْض العهد والميثاق الذي بَيْن « بني قريظة » وبين رسُولِ الله ﷺ والإتفاق على مخالفةِ الأحْزاب ومهاجمة المسلمين من ظهورهم.

... وبَلَغَتِ القلوبُ الحناجر

عَلِمَ النبيُّ ﷺ بما حَدَثَ بيْنَ « حُيَيٍّ » و« كعْب »، من خلال أرصادِهِ وعيونِهِ، فأَهَمَّهُ ذلك كثيراً، وأَدْرك بثاقب بصره وبصيرته خطورة الموقف، فاستدْعى إليه « الزُّبَيْر بن العوّام » - رضي الله عنه - وطَلَبَ إليْه في سِرِّيَّةٍ بالغة أَنْ يأْتي دُور « بني قريظة » ويَسْتعْلِمَ حقيقة الخبر، وأوصاهُ أن لا يُذيع شيئاً مما يَعْلم حتى لا تضعف عزيمة المسلمين أو يَفُتَّ في عَضُدِهم.

فمضى « الزُّبَيْر » - رضي الله عنه - إلى غايته، وأتى دُورَ « بني قريظة »، واستقْصى

ما كُلِّف به، ثُمَّ عاد إلى النبيِّ ﷺ وأَسَرَّ إليْه بأَنَّ «بني قريظة» قد نقضوا العهْد فِعْلاً...

ولم يَبْقَ الْخَبَرُ طيِّ الكتمان، إذ انتشر بطريقةٍ ما...، فأُصيبَ المسلمون بذُعْرٍ شديد ما عهدوه من قَبْلُ ولا في موقفٍ من المواقف...، وخافوا خوفاً عظيماً، واضطربوا اضطراباً شديداً جعل قلوبهم تخفق في صُدُورهم وتكادُ تَبْلُغُ حناجرهم، إذْ أدركوا أنهم قد وقعوا بَيْن شِقَّيْ رحى...

وأمْضوا لياليهم لا يَغْمَضُ لهُمْ جَفْنٌ قد تكأْكأَت عليهم رهْبةُ الموقف وشِدَّة الزمْهرير، وقسْوة المسغبة[1]. كما أُكرهوا على الإنقطاع عن بَعْض الصلوات...

---

(١) المسغبة: الجوع

وأَرْسَلَ النبيُّ ﷺ ثلاثمائةٍ من فُرْسان المسلمين الأشداء إلى المدينة حمايةً للنِّساء والأطفال.

بُطُولة « صفيَّة بنت عَبْد المطّلب » - رضي الله عنها -

كانَتْ « صفيّة بنت عبد المطلب » - رضي الله عنها - . [عمَّةُ النبيّ ﷺ] تُقيم مع بعض النساء في بيتٍ محصَّنٍ من بيوت المدينة، فَرَأَتْ وهي تَنْظُرُ مِنْ علٍ يهوديّاً من « بني قريظة » يطيف بالمكان، فاسترابتْ من تصرُّفه وتطوافِهِ، فنادت على « حسّان بن ثابتٍ[1] » - رضي الله عنه - وطلبت إليْه، كَوْنَهُ رجُلاً، أن يخرج إلى هذا اليهودي ويقتله...

لكن « حسّاناً » جَبُنَ عن ذلك وأبى أن

---

(١) حسان بن ثابت: شاعر الرسول ﷺ

يُغامر، وكان - رضي الله عنه - مشهوراً بالخوف، لا يباشر قتالاً ولا يحمل سيْفاً ولا يخوض ميداناً...

فاضطُرَّت «صفيَّةُ» - رضي الله عنها - أَنْ تنزل إلى اليهودي وبيدها عُودٌ من الخشب الغليظ ثُمَّ تَفْتك باليهودي وتُرْديه قَتيلاً طريح الثرى، وتُخلِّصُ المسلمات من شَرّه.

فارس المسلمين

كان فُرْسان الأعداء [قريش والأحزاب] يحاولون المحاولات الكثيرة لمباغتة المسلمين ليْلا من أماكن يروْنها ضيّقةً من الخندق فيجتازونها إلى عـدوة المسلـمين، لكن المسلـمين كانوا يراقبونهم ويترصّدونهم كي يصدوهم ويردُّوهم على أدْبارهم خائبين.

ولقـد سعى مراتٍ كثيرة بعض فرسان قريشٍ إلى ذلك فلم يوفّقوا ولم يُفْلحوا ودُقّ عُنُـق أكـثر من واحدٍ منهم بينما هو يقفز بفرسه...

وفي يوم خرج أحد فرسانهم المعدودين



المشهورين، إسمُه: «عمرو بن عَبْد وُدٍّ العامريّ» على فرسه مبارزاً وقد عبر الخندق. كان اسمُهُ يُرْعب أبطال العرب قاطبة، من أقصى الجزيرة إلى أقصاها، لما كان يتحلّى به من فروسيةٍ، ويتمتّع بِهِ من قوة، ودراية تامةٍ بفنون القتال.

أخذ ينادي في صفوف المسلمين، يدعوهم إلى مناجزته ومبارزته، فلم يُجِبْهُ أحدٌ لأنّهم ماأُذنوا من رسُول الله ﷺ...

وحين راح يعيِّرُ المسلمين بجُبْنِهِم...، طلب «عليُّ بن أبي طالبٍ» - رضي الله عنه - إذْنَ النبيِّ ﷺ بالخروج إليه ومبارزته، فرفض «عليه السلام» ذلك، ضَنّاً بـ«عليٍّ»، وقال له:

- إنّه «عمرو بن عَبْد وُدٍّ» يا «عليّ»...!!

فقال فارس الإسلام بإباءٍ وشَمَم:

- وأنا « عليٌّ بن أبي طالب »، أَستعينُ الله عليْه..

لا فتىً إلاّ « عليّ »... ولا سيف إلاّ ذو الفقار

وأَلحَّ « عليٌّ » - كرَّم الله وجهه - على رسُول الله ﷺ كيْ يأْذَنَ له، فأذِن وهو يدعو الله - سبحانه - أَنْ يحفظ « علياًّ » ويرعاه، ثُمَّ أَلْبَسَهُ دِرْعَه وقلَّدَهُ سَيْفه « ذا الفقار ».

لما خرج « عليٌّ » إلى « عمرو » سأله الأخير عن اسْمِهِ ونَسَبِه، ثم استصْغَرَ شأْنه وقال له مُسْتَخِفاًّ بِهِ:

- إنّي - والله - يا ابن أخي غير حريص على قَتْلك...، فارْجعْ إلى أَهْلِك.

فأجابه « عليّ »:

- أما أنا فإنّي والله حريصٌ على قَتْلك.

وتصادم الفارسان، وعلا بينهما الغُبار حتى أخفاهُما عن أَعْيُنِ الناس، وضَرَبَ «عمرو» «علياً» بسيفه ضَرْبةً شديدة، فتلقّاها «عليٌّ» بدَرَقَتِهِ[1] فغرز السيف فيها...، ثم عاجله «عليٌّ» بضربةٍ من سَيْفِهِ قطعت رَأْسَهُ حتى عُنُقه...، وسقط الفارس الجاهليُّ المغرور صريعاً، وانجلى غبارُ المعركة عن «عليٍّ» كرَّم الله وَجْهه وقد عاد إلى صفوف المسلمين سليماً.

فهلَّل المسلمون وكبَّروا...، كما استاءَ القرشيُّون وأسفوا.

وَظَلَّت المناوشات بَيْن الطرفيْن قائمة على هذا النَّمْط دون أن يحدث بين الفريقيْن اشتباك قتالي بالمعنى الواسع، ودون أن يسجِّل أحدهما على الآخر هزيمة أَوْ مَوْقفاً.

---

(١) الدّرقة: التّرس

إنَّ اللّهَ يهدي من يشاء

وفي إحدى الليالي... بينما كان فارس من «غطفان» إسمهُ: «نُعَيْم بن مسعودٍ» قابعاً في خيمته مع الأحزاب، شَعَر بأَنَّ نوراً يدخُلُ قلْبه، ويَسْري في أَنحاءِ جسمه وجوارحه فهبَّ واقفاً...، ثم خَرَجَ من معسكر المشركين دون أن يُشْعر أحداً حتى أتى معسكر المسلمين، وقصد توّاً إلى خِباءِ رسُول الله ﷺ.

تُرى، ماذا يريد «نُعَيْم»؟ وما الذي حفَزَ به إلى التحرُّك؟

لقد ألقى الله تعالى في قلْبه نور الإسلام، فجاء إلى النبيِّ ﷺ مسلماً مؤمناً، باذلاً كُلَّ ما في وُسْعِهِ في سبيل الله.

الحَرْبُ خُدْعة

كان « نُعَيْم » يتمتّع بيْن قومه وعشيرته بمركزٍ مرموق، ومكانةٍ محترمة، كما أنه كان من الذين يثق بهم أسيادُ « بني قُرَيْظة » لأنه كان نديماً لهم، يجالسهم في أماكن اللَّهْو ويسقى معهم الخمر...، وهو إلى جانب ذلك صاحب دهاءٍ وحيلة.

تقبَّل النبي ﷺ إسلام « نُعيْم » - رضي الله عنه - ودعا له بخير؛ فطلب « نعيْم » من رسُول الله ﷺ أن يأْذن له بِعَمَلٍ يدفَعُ به كيْد الأحزاب وغَدْر اليهود، فقال له « عليه السلام »:

– إنّما أَنْتَ فَذٌّ[1] فَادْرَأْ عنّا ، [أوْ خَذّل عنّا]
ما استطعْتَ، إنما الحرْبُ خُدْعة .

(١) الفذّ : الفرْد



واللهُ خَيْرُ الماكرين

انصرف « نعيم » حتى أَتى دور « بني قريظـة »، ودخـل على سيّدهم « كعب بن أسد »، ثم حدَّثـه وألقى في روْعه وُجُوب حصول اليهود على ضمانٍ من الأحزاب لأنهم في حـال رحيلهم وتخلِّيهم عن قتـالِ « محمـد » سيجعلون اليهود لقمــة سائغــة للمسلمـين، فيستأْصلونهم ويُبيدوهم.

كما اقترح على « كعْبٍ » أن يطلب سبعين شخصاً من أبناء رؤوس القوم رهائن عنده ليضمن استمرار الحصار.

فاقْتنع « كعبُ » بصواب فكرة « نُعَيْم »،

كما لم يخالجه أدنى شَكٍّ بِصدْق نيّته، فَهُوَ غير مُتَّهمٍ عنده.

كانت هذه المحادثة التي جرَت بيْن «نُعَيْم» وبيْن «كعْبٍ» هي الفصل الأوّل في موضوع [المؤامرة - الخدعة] التي أراد لها «نُعَيْم» أن تَتِمَّ فصولاً.

ثم انطلق بعد ذلك ليربط خيوطها.

عاد إلى معسكر الأحزاب، واختلى بـ«أبي سفيان»، وقال له:

إنّني ولا شك غير مُتَّهمٍ عندك، ولقد عَلمْتُ بأن يهود «بني قريظة» قد ندموا على نَقْضِهِم العهْد الذي كان بينهم وبيْن «محمد»، كما علمتُ بأَنّهم سوْف يطلبُونَ إلينا تسليمهم بعض الرهائن كيْ يتثبّتوا من بقائنا هنا محاصِرِين للمسلمين ظاهريّاً، ولكنّهم سيسلّمون

هذه الرهائن إلى « محمد » ليضرب أعناقها أو يُساوِم عليها، تدليلاً على حُسْنِ نيّتهم وصِدْقهم في ندَمِهِم...

كما أرجو أن تأخذوا معلوماتي هذه مُصدَّقةً لا يَرْقى إليها الشَّك أبداً، فإذا رَغِبْتُم أن تستيقِنُوا من صِدْق أقوالي فاطلبوا إلى اليهود - « بني قُرَيْظة » - أن يستعِدّوا لمهاجمة المسلمين غداً، ولسوْف ترون...

وقع كلام « نعيْم » عند « أبي سُفيان » موقعَ الدهشة والعجب، ولكنه لم يكن ليشُكَّ أبداً في صِدْق « نُعَيْم » وإخلاصه.

فقام على الفوْر وكلَّم أعوانه ورفاقه من قادة الأحزاب، فأصغوا إلى قوله، ثم اتّفقوا فيما بينهم على مطالبة اليهود بالقتال وتنفيذ الإتفاق.

ثم أرسلوا إليهم من يبلّغهم قرار الأحزاب بدْء القتال صباح اليوْم التالي، وعلى اليهود أن يقوموا بتعهُّداتهم، وينفّذوا وَعْدَهُم.

فاعْتَذَر «بنو قُرَيْظة» أَنّهم لا يحاربون في السَّبْت، لأنه محظّر عليهم القتال في ذلك اليوْم، تُحظِّرُهُ عليهم كُتُبُهُم وتوراتُهُم، كما أَنّهم يودُّون أن يستوْثِقُوا من صِدْق الأحزاب واستمرارهم في حصار المسلمين وقتالهم فيعطُوهُم سبعين رهينةً من رجالهم.



تفكُّك التّحالُف

وعندما تلقى الأحزاب والمشركون ردّ «بني قريظة» تبدّى واضحاً صِدْق «نُعَيْم»، أَوْ بالأحرى نجاح خطته وخديعته في فكّ الحصار عن المسلمين، وأُسقط في يد الأحزاب، وتسرَّب اليأْس والقنوط إلى نفوسهم...

فانصرفت بعض القبائل إلى ديارها، وتخلَّت عن مواقع القتال والمواجهة.

كما أن «أبا سُفيان» الذي كان المحرِّض الأول على الغزْو والخروج بهذا الحشْد الحاشد من مكة، أخذ يدعو الناس إلى العوْدة، ويبشّر بذلك بين صفوفهم.

وَرَدَّ اللهُ الذين كفروا

أَقْبَـلَ اللَّيْـلُ بارداً شديد البرودة...، الرياحُ تهبُّ قويّةً عاصفة...، والمسلمون في غايـة الإرهاق والعُسْر...، إذ لم يروا في معاركهم السابقة خَوْفاً يَعْتَمِلُ في نفوسهم كما حدث لهم اليوْم.

انتدب النبي ﷺ أحد أصحابه « حُذَيْفَةُ ابن اليَمان » - رضي الله عنه - ليدخُلَ مُعَسْكَرَ الأحزاب فيستطْلِـعَ أحوالهم ومـا استقرّوا عليه، بعد أن تخلَّتْ عنهم « اليهود »، وبعدما سمع أن دعوة الإنسحاب تتجاوب أصداؤها في جوانب معسكرهم.

لكن « حُذَيْفة » كان يشعر بالبرْد يسري في

أوصاله ولا يستطيع حراكاً، فرجا النبي ﷺ أن يُعفيه من هذه المهمة الشاقة وينتدب غيره...

وبعد إلحاحٍ من الرسول الكريم استجاب «حُذَيْفة» وخرَجَ متسلّلاً تحت جنح الليل، حتى بلغ معسكر الأحزاب.

ودخل في وسط المعسكر حتى بلغ خيمة القيادة، وكان الظلام دامساً شاملاً، فجلس بَيْن اثنيْن من المشركين، واستمَّر في جلسته يستمعُ إلى «أبي سُفيان» وغيره من القادة يتحدثون...

ولما اقترب الفجر... وآذن النهار بالإنْبِلاج غادرهم كما أتاهم متسلّلاً لم يَشْعُر به أَحَد، وأخبر النبي ﷺ بما يطمئِنَه ويطمئن المسلمين، ويُبَلِّغهم مدى الإنهيار النفسي الذي يُعاني منه جنود الأحزاب.

وكفى اللهُ المؤمنين القتال

وبين عَوْدة « حُذَيْفة » وحديثه إلى النبيّ ﷺ ... كانت الريح قد اشتدَّت أكثر من قبل، وهبَّت عاصفة هوجاء عاتية على معسكر الأحزاب، فاقتلعت خيامهم وأَكْفَأَت قدورهم، وبَعْثَرَتْ حوائجهم، فظنّوا كأنّ نازلة قد حلَّت بهم، أو أَنّ زلزالاً مُدَمِّراً يوشك أن يَقْضي عليهم.

فقال قائلهم:

- والله إنّها ليستْ بدارِ مُقام، ولئن بقينا لَيُقْضَيَنَّ علينا.

فأسرعوا يُلَبُّون داعي الهزيمة والفرار.

ومع خيوط الشمس الأولى كانت الأرض خِلْواً من كل أَثَرٍ للأحزاب، فَفَرِحَ المسلمون وآسْتبشروا وكبَّروا...، ونقلوا إلى رسُول الله ﷺ الخبر، فَحَمِدَ الله تعالى شاكراً فَضْله ونِعْمتَه.

﴿وردَّ الله الذين كفروا بِغَيْظِهِم لم ينالوا خَيْراً وكفى اللهُ المؤمنين القتال﴾.

﴿وكان اللهُ قويّاً عزيزاً﴾.



هذه السلسلة

هذه السلسلة من انتصارات العرب ، محاولة جديدة من ضمن المحاولات الخيّرة التي سبقنا اليها ، آملين أن تساهم في تقويم النشء العربي وتوجيههعلى أساس من الأخلاق والمثل الفاضلة،التي وضعها ديننا الحنيف لأبنائه ، وجسّمها الرسول الكريم نماذج حيّة بين البشر في أفعالــه وأقواله .

فمن أحسن قدوة تقتدى ؟ ومــن أهدى دليل يتّبع غيره ؟

فسيرتــه صور من الكمال والرفعة والإشراق ينبغي أن يلقنها الأبناء بأسلوب مبسط سهل بعيد عن التعقيد ، قريب من الفهم يستهويهم ويستميلهم للقــراءة ، وهذا ما حاولنا القيام به والله المعين .

الناشر

دار المسيرة
بيروت

